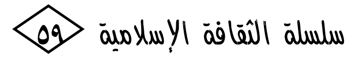
سلسلة الثقافة الإسلامية



دروس من الثورة الإسلامية في إيران
القسم الثالث

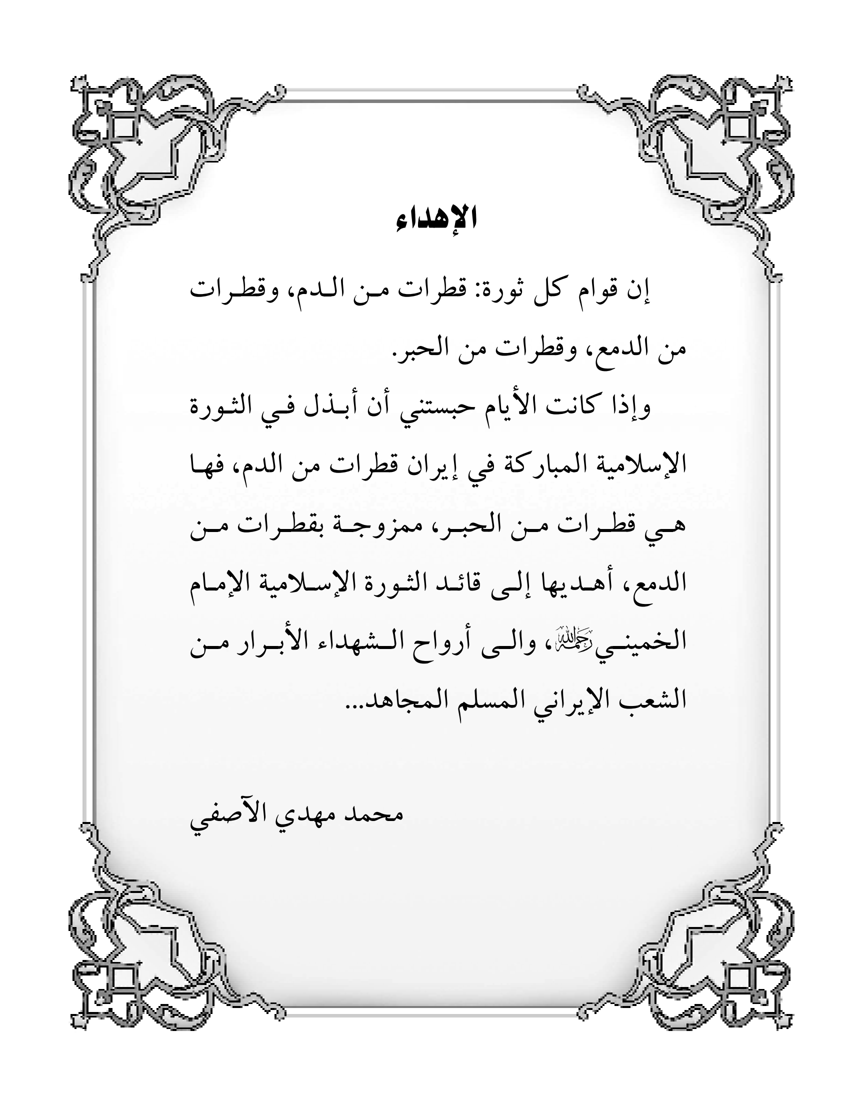


الشيخ محمد مهدي الآصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات
الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب: .... خط الإمام
المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الأولى: .... ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م
الكمية .... ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف



الإهداء

إن قوام كل ثورة: قطرات من الدم، وقطرات من الدمع، وقطرات من الحبر.

وإذا كانت الأيام حبستني أن أبذل في الثورة الإسلامية المباركة في إيران قطرات من الدم، فها هي قطرات من الحبر، ممزوجة بقطرات من الدمع، أهديها إلى قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني، والى أرواح الشهداء الأبرار من الشعب الإيراني المسلم المجاهد...

محمد مهدي الآصفي

مقدمة

الثورة الإسلامية ـ التي قام بأعبائها الشعب الإيراني المسلم بقيادة الإمام الخميني الراحل رحمه الله في السنوات الأخيرة، والتي تمخضت عنها الجمهورية الإسلامية في إيران، وآذنت بمرحلة جديدة في تاريخ العالم السياسي المعاصر ـ تعتبر واحدة من أكبر أحداث التاريخ الإنساني المعاصر، وأحفلها بالتجارب، وأغناها بالمفاهيم والأفكار، وأكثرها تأثيراً في مسار أحداث التاريخ السياسي في عصرنا.

وقد كان في هذه الثورة الإسلامية المعاصرة ـ كأية ثورة أخرى ـ نقاط قوة ونقاط ضعف، وتجارب ناجحة وأخرى لم يكتب لها النجاح، وأعمالاً ومشاريع وشعارات نبعت من متن الثورة، عمقت الثورة وكرّستها على الصعيدين الإسلامي والعالمي، كما ظهر فيها أعمال وشعارات أضرّت بالثورة وأضعف دورها فيهما.

ولمّا كانت هذه الثورة بداية لمرحلة جديدة في التاريخ الإسلامي المعاصر وإيذاناً باتّساع رقعة الثورة الإسلامية في العالم، واحتدام المواجهة بين الإسلام والكفر، كان حريّاً برجال الفكر والحركة

الإسلامية أن يعطوا هذه الثورة الكثير من اهتمامهم وعنايتهم وأفكارهم.

وانطلاقاً من هذا الإحساس قمت بإلقاء مجموعة من المحاضرات عن الثورة الإسلامية في إيران في عدد من المؤتمرات والندوات الإسلامية، وهذه حلقات ثلاثة من تلك المحاضرات وهي:

١ ـ في علاقة الثورة بالله، وهي محاضرة ألقيت في المؤتمر السنوي لرابطة الشباب المسلم في لندن عام ١٩٧٩.

٢ ـ الأعماق الحضارية للثورة الإسلامية المعاصرة، وهي مجموعة ثلاثة محاضرات ألقيت في رابطة الشباب المسلم بلندن عام ١٩٨٣.

٣ ـ خطّ الإمام، وهي محاضرة ألقيت في مؤتمر الكوادر الإسلامية العراقية بطهران في ربيع الأول سنة ١٤٠٥.

وطبعت هذه المحاضرات في ثلاث حلقات وأعيد طبع بعضها مرّات عديدة خلال هذه الفترة.

أسأل الله تعالى أن يوفقني لإخراج سائر حلقات هذه المحاضرات والدروس تباعاً، وهو الملهم والموفق للسداد والصواب.

محمد مهدي الآصفي — قم ـ ٢٩ ربيع الثاني ١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَـالَمينَ ❊ الـرَّحْمن
الرَّحيمِ ❊ مَالك يَوْمِ الدِّين ❊ إيَّاكَ نَعْبُدُ
وإيَّاكَ نَسْتَعينُ ❊ اهدنَا الصِّرَاطَ المُستَقيمَ
❊ صرَاطَ الَّـذينَ أَنعَمـتَ عَلَـيهِمْ غَيـرِ
المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

خَطّ الإمام

مـن أهـم مكاسـب الثـورة الإسـلامية ظهـور خـط سياسـي إسـلامي، يعبـر عـن مواقفنـا الاسـتراتيجية الـسياسية والجهاديـة، ويـرتبط بمواقعنـا وأصـولنا الفكريـة والإيمانيـة، وهـو الخـط الإسلامي الأصيل، وقد عرفت هذا الخط في أوساط الثورة بخط الإمام الخميني رحمه الله، قائد الثورة الإسلامية فـي عـصرنا ومؤسـس الجمهورية الإسلامية.

ولاشك أن ظهـور خـط الإمـام حـدث سياسـي هـام، يـستحق دراسات واسعة وتحقيقية، فلأول مرة في العـصر الحاضـر يكـون لجهادنا السياسي، خط سياسي محدد المعالم، واضح الاتجاه.

وقد ظهر مصطلح (خط الإمام) لأول مرة عند احتلال السفارة الأمريكية، من قبل الطلبة المسلمين، الذين سموا أنفسهم بـ(الطبة السائرين على خط الإمام) ومنذ هذا التاريخ دخل هذا المصطلح فـي قـاموس الثـورة، إلاّ أن مـضمون خـط الإمـام، والمحتـوى

السياسي والفكري، لهذا المصطلح كان موجوداً في عمق الثورة، قبل ذلك بزمان بعيد.

لقد جمعت الثورة في مسيرتها كل الغاضبين والنـاقمين علـى النظام الشاهنشاهي في بداية السير من أقصى اليمـين إلـى أقـصى اليسار، وكان للنظام الملكي أعداء ومناوءون سياسـيون كثيـرون، جمعـتهم الثـورة الـشعبية العارمـة. وكـل يمنّـي نفـسه أن يحتـوي الثورة، بعد أن تحقق هدفها، وتسقط النظام الملكي العتيد.

ورغــم أن قيــادة الثــورة كانــت خــلال المــسيرة للإمــام الخميني رحمه الله بلا منازع، فقد كانت الثورة تستوعب كل الأطراف الـسياسية المعارضـة للـشاه، علـى أمـل أن تحقـق الثـورة سـقوط النظام، لتبدأ الجولة الثانية من الصراع السياسي الحاد، لاسـتيعاب واحتواء الثورة.

فلما حققت الثورة هدفها وسقط النظام الملكـي تحـت أقـدام الشعب الثائر، وسحبت تماثيل الملك، من الـساحات والميـادين، بدأ صراع جديـد، حـول القيـادة الجديـدة، التـي تخلـف النظـام

الملكـي، ودخـل الحـزب الـشيوعي، والأحـزاب اليـسارية الماركـسية، والأحـزاب الوطنيـة، والجماعـات (الإسـلامية ـ الماركسية)، والأحزاب القومية في المعترك السياسي، لاحتواء الثورة، أو تقسيم الميراث، وأخذ الصراع شكلاً حقيقياً، ولولا هيمنة الشارع الإسلامي على الثورة وقوة ونفوذ قيادة الإمام، لكان الصراع يأخذ شكلاً مخيفاً.

وفي هذه المرحلة تمايزت الخطوط السياسية، وتميّز من بين هـذه الخطـوط (خـط الإمـام)، كخـط سياسـي واضـح المعـالم والاتجاه، واجتذب هذا الخط، دون سائر الخطوط، جماهير الأمة، وعزل سائر الخطوط عن الساحة السياسية.

ولسوف نتناول في هذا المقال تاريخ، وخصائص، ومكاسب، وضريبة، وقيمة، ومعالم، ومصادر خط الإمام بشكل موجز إن شاء الله تعالى.

* * *

لمحة تاريخية

في غفلة من أجهزة الرصد السياسي للاستكبار العالمي ـ الشرقي والغربي ـ كان ينمو في العالم الإسلامي وعي سياسي إسلامي أصيل، وبصورة هادئة، وهيّأ الله تعالى لهذا الوعي السياسي أن ينمو نمواً سويّاً، ويأخذ حظه من النضج. فقد تكوّن هذا الوعي على شكل صحوة سياسية، في العالم الإسلامي في الطبقة المؤمنة المثقفة بصورة محدودة، ثم تحول إلى وعي سياسي، وتوسعت مساحته، وشملت مساحات كبيرة من الأمة، وتحوّل في جسم الأمة إلى حركة واعية باتجاه عودة الإسلام إلى الحياة من جديد، وتفاعلت هذه الحركة وتحوّلت إلى انتفاضة شاملة في إيران، والعراق، ومصر، والأردن، والسودان، وباكستان، وكثير من الأقاليم الإسلامية.

وقد نجح الاستكبار العالمي في امتصاص هذه الانتفاضات الإسلامية والجماهيرية، في بعض الأقطار بخبث وذكاء، وفشل في أقطار أخرى، فاستعمل العصا، والعصا في حساب الحكام

الورقة الأخيرة التي ليس وراءها ورقة.

وتحوّلت هذه الانتفاضة إلى ثورة إسلامية هزّت أمواجها العروش والتيجان والمعادلات السياسية في المنطقة، واجتذبت اهتمام كل المسلمين وكل المحرومين، وأخذ الناس في العالم يتابعون أخبار الثورة الإسلامية باهتمام وحرص.

حتى شاء الله أن تفلح الثورة في إقامة أولى دولة إسلامية في العصر الحاضر.

وأصبحت هذه الدولة موضع أمل عامة المحرومين والمستضعفين من المسلمين وغيرهم، وأصبح هذا الكيان، رغم حداثته يهدد كل الكيانات السياسية التقليدية القائمة على العمالة الشرقية والغربية أو المزدوجة. وبدأ التفاعل الجماهيري، مع الثورة والدولة الإسلامية المباركة يتصاعد في العراق وفي الخليج ولبنان، بشكل غير اعتيادي، مما حرّك جرس الإنذار للحكام في المنطقة ولأسيادهم خارج المنطقة فتكالبت القوى الاستكبارية العالمية وفي مقدمتها أمريكا ثم فرنسا لمضايقة ومحاصرة هذه الثورة.

وزرعوا أمام الثورة والدولة المباركة عقبات، وألغاماً، ومتاعب، ومشاكل سياسية، واقتصادية، وعسكرية، كان آخرها الحرب التي أثارها النظام العراقي ضد الجمهورية الإسلامية.

وكان على هذه الدولة المباركة أن تجتاح هذه العقبات واحدة بعد أخرى، وتنتهي من عقبة اقتصادية لتتجاوز أخرى سياسية، وتنتهي من عقبة سياسية، لتبدأ باجتياز أخرى عسكرية، وقد كان يتزامن في وجه الدولة المباركة أكثر من عقبة داخلية وخارجية في وقت واحد.

وتجاوزت الثورة والدولة هذه العقبات، بحول الله تعالى وتأييده، بتوفيق ونجاح منقطع النظير.

وخلال هذه التحولات، والانقلابات، والأحداث الكبرى الخطيرة، والمواجهات الجادة السياسية والعسكرية والاقتصادية، والابتلاءات الصعبة، تنامى داخل الأمة خط سياسي حركي وفكري وجهادي، يشكّل استراتيجيتنا السياسية والجهادية، وينبع من الأصول العميقة لتفكيرنا الإسلامي، وذلك هو (خط الإمام).

وهذا الخط في أصوله التاريخية المعاصرة، هو نفس الوعي

السياسي الإسلامي، الذي اجتاز هذه المراحل السياسية، والجهادية، خلال نصف قرن من الزمان تقريباً، حتى تكاملت أبعاده، وكمل نضجه ونموه، وظهر على الساحة الإسلامية، على شكل خط متكامل، من خلال السلوك السياسي والجهادي لقائد المسيرة الإسلامية الإمام الخميني ﵀.

❊ ❊ ❊

خصائص وميزات خط الإمام

الغطاء السياسي والإنساني لخط الإمام:

والخاصية الأولى في هذا الخط، إن هذا الخط ليس خطاً سياسياً، وجهادياً نظرياً، تبلور من خلال تنظيرات علمية ودراسات سياسية أكاديمية، وإنما تبلورت أبعاد هذا الخط السياسية والجهادية من خلال جهاد العاملين وجهودهم، وتحركهم، وسهرهم، ودمائهم، ودموعهم، ومتاعبهم، خلال طريق ذات الشوكة، ومن خلال عذابهم، وسجونهم، وهجرتهم، وفرارهم، وقرارهم، خلال هذه الفترة المباركة من عمر المسلمين.

وهذه الجهود والمجاهدات هي الغطاء الثقافي والحركي لخط الإمام، وليس مجموعة نظريات ودراسات أكاديمية، وهي غطاء مبارك يبعث على الاطمئنان والأمن.

فقد خطّ هذا الخطّ أمة كبيرة من المجاهدين والعاملين في سبيل الله من خلال تجاربهم وآلامهم وعذابهم، وعملهم،

وتحركهم، وجهادهم، وما رزقهم الله من نور وبصيرة خلال هذه الحركة المباركة.

ولقد سدد الله تعالى الكثير من الأخطاء، وقوّم الكثير من الزلات، في حياة العاملين، خلال هذه الجولة الربانية الكادحة.

وكان هذا الخط حصيلة هذه التجارب والابتلاءات.

* * *

.. فمن الطبيعي إذن أن يكون هذا الوعي والخط السياسي الذي تبلور خلال هذه الفترة من الآلام والمحن قد تبلور في عمق ضمير الأمة، ووجدانها وقناعتها، وتفاعلت معها الأمة تفاعلاً كاملاً، وتحول إلى قناعة وإيمان ثابت، في عمق وجدان الأمة.

فهذا الخط ـ إذن ـ ليس خطاً فكرياً وسياسياً طارئاً يفرض على أفكار الناس، من خلال أجهزة الإعلام، وإنما هو الخط الفكري، والسياسي، والجهادي النابع من تجربة الأمة وقناعتها، ومعاناتها، وتكونت مفرداته، من خلال حركة الأمة، وتضحيتها ومحنتها.

وهذا هو الغطاء الإنساني لهذا الخط.

وقد كان هذا الالتحام، بين الأمة وخط الإمام، من أهم أسباب وقوف الأمة بحزم وثبات، لحماية هذا الخط وحراسته من الانحراف، ومن اندساس المنافقين والانتهازيين، داخل الخط، بغية تحريفه وتوجيهه لخدمة مصالحهم الشخصية والفئوية.

الأبعاد الحضارية والتاريخية لخط الإمام.

ومن خصائص هذا الخط، أن الجذور الأولى لهذا الخط يمتد إلى رسالة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فليس هذا الخط خطاً مبتوراً، اجتثّ من فوق الأرض، ما له من قرار، وإنما هو في أبعاده التاريخية خط الأنبياء والمجاهدين، والدعاة إلى الله تعالى والأئمة عليهم السلام وهو بذلك خط عريق، أصيل ذو أصول ثابتة، والإحساس بهذه الحقيقة يعمّق صلة الناس العاطفية والعقلية بهذا الخط.

وهذا بالتأكيد من أهم عوامل بقاء الثورة الإسلامية

واستمرارها على خط الإمام، رغم كل المعاكسات والعقبات التي واجهتها الثورة، خلال هذه المسيرة الشاقة.

فقد انطلقت الثورة من المساجد ومن على منابر الإسلام، ومجالس عزاء الحسين (ع)، وتصاعد مد الثورة، خلال أيام محرم، حيث يجدد المسلمون ذكرى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (ع).

والذي يتتبع كلمات السيد الخميني (قده)، خلال مسيرة الثورة، وبعد قيام الدولة، يجد أنّه يولي اهتماماً كبيراً بثورة سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) والمحافظة على إقامة ذكرى الإمام الحسين في عاشوراء، بالصيغة الشعبية التي ألفها المؤمنون، والاستفادة من منابر عاشوراء ومجالسها والمحافظة على الناحية المأساوية لذكرى عاشوراء، والاستمرار في إقامة مجالس العزاء، كل ذلك لتبقى عجلة الثورة مشدودة بأصولها التاريخية، ولترتبط مسيرتنا السياسية والجهادية بتلك المسيرة الربانية الكبرى التي قادها السبط الشهيد (ع) قبل ألف وثلاثمائة وخمسين سنة.

النصاب الشرعي للولاية في خط الإمام:

من خصائص هذا الخط التأكيد على ارتباط الحاكمية بالفقيه، في عصر غيبة الإمام المهدي (عج)، لتتكامل حلقات مسلسل الحاكمية والولاية الإلهية في حياة الإنسان.

فان الله تعالى هو مصدر الحاكمية والولاية في حياة الإنسان. وقد أولى الله تعالى نبيه هذا الحق في حياة الناس: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾، ويتسلسل الحكم والولاية في أئمة المسلمين (عليهم السلام) بعد رسول الله (ص)، وفي عصر الغيبة تستقر هذه الولاية بصورة شرعية في الفقيه، الذي يلي أمور المسلمين ويتصدى لشؤونهم نيابة عن الإمام المهدي (عج)، وبذلك تتكامل حلقات مسلسل الولاية الإلهية في حياة الناس.

الأصالة في الخطّ:

ولم يتأثر هذا الخط، خلال العبور من وسط التيارات الحضارية المعاصرة، بشيء من مفاهيمها وأفكارها، وحافظ على أصالته ونقائه من التلوّث الفكري والحضاري والسلوكي رغم إن

كلما كان في الجو الحضاري السائد، كان يشجع ويدعو إلى الانصهار في المفاهيم والأفكار الغربية والشرقية.

وليس من شك أنّ الصلابة الفكرية لشخصية السيد الخميني كان من أهم عوامل هذه الأصالة، ففي بداية قيام الدولة، ويوم طرح الإمام (حفظه الله) هذه الدولة للاستفتاء على الرأي العام، خطب لتوجيه الرأي العام، وقال: (إنني أعطي رأيي للجمهورية الإسلامية)، من دون زيادة أو نقيصة، وأوصد الباب بشجاعة، دون كل المحاولات التي كانت تحاول دسّ الديمقراطية، أو الشعبية، أو الاشتراكية، أو غير ذلك من المفاهيم والمصطلحات الدخيلة على جوهر هذه الدولة ومحتواها.

ثم تبنت الثورة، من خلال توجيهات وخطابات الإمام ورجال الثورة وشعارات وهتافات الأمة شعار اللاّشرقية واللاّغربية.

وما أدراك ما قيمة هذا الشعار، وعمقه ووزنه السياسي؟

فلقد كانت ولا تزال الحكومات والأنظمة في هذه المنطقة تدور حول فلك إحدى القوتين العالميتين، فإذا انفلت النظام من دائرة النفوذ السياسي لأمريكا، فلكي يرتمي في أحضان النفوذ

السوفيتي، وإذا تخلص نظام من فلك السوفييت، فلكي يتراوح بينهما، أو يلعب على الحبلين جميعاً.

ولأول مرة تستطيع الثورة الإسلامية أن ترفع في وجه القوتين الكبريين شعار لا شرقية ولا غربية، وتمارس العمل السياسي، بموجب هذا الشعار، وتتخلّص من دوائر النفوذ الأجنبيّة بصورة حقيقية، وسوف يكون الجيل القادم أكثر قدرة على تقييم هذه الخطوة الجبارة في الثورة الإسلامية، وتقييم هذا الركن الهام من أركان خط الإمام.

ولقد كانت عوامل غربية ـ استطاعت أن تدس نفسها، لفترة ما في خط هذه الثورة ـ تحرص كل الحرص، وتحاول أن تسرّب المفاهيم الغربية والشرقية، بصورة أو بأخرى، في صلب الثورة، وتحاول أن تبرّر ذلك بمختلف التبريرات، ولكن وعي القائد وصموده، ووعي الأمة وصمودها، أفشل كل هذه المحاولات، واستطاع الخط أن يجتاز هذه المرحلة، محافظاً على نقاوته، وأصالته وصفائه الفكري، الذي هو كل قيمته، والثمن الحقيقي لدماء الشهداء.

الحالة الاقتحامية للخط:

حالة التصدي للمعتدي، والمبادرة، والاقتحام، من خصائص الثورة. والثورة إذا تخلّت عن حالة التصدي والمبادرة، واقتحام مراكز نفوذ القوى الاستكبارية لا تستطيع أن تواصل حركتها الثورية، وستتولى القوى الاستكبارية دور المبادرة في ضربها وسحقها، ولذلك لابد أن تكون الثورة حاسمة، في مسألة التصدي للعدو، وتتولى دائماً دور المبادرة، تتقدّم وتكون شجاعة في الإقدام، وتعتمد على الله تعالى في ذلك كله.

ومن دون ذلك، لا تستطيع الثورة أن تؤدي دورها الثوري، في المجتمع وفي التاريخ.

وقد كان خط الإمام، خلال هذه الفترة، يمتاز بمثل هذه الشجاعة والجرأة، في التصدي والإقدام، واقتحام مراكز نفوذ الطاغوت، وقوى الاستكبار العالمي، وما يستلزم ذلك من رؤية واضحة، في المسائل الثورية والحسم والشجاعة العملية، وقبل ذلك كله الاتكال على الله تعالى.

الربانية والأخلاقية في خط الإمام:

ومن أركان هذا الخط وميزاته وخصائصه (الربانية) والارتباط بالله سبحانه وتعالى، ارتباطاً وثيقاً قائماً على أساس العبودية الحقيقية لله تعالى، والإخلاص له، والاتكال عليه تعالى، في كل الحالات، وهذا هو قوام الخط وأساسه الأول، ومن دونه لا يبقى لهذا الخط شكل ولا محتوى. والتركيز على هذا الجانب هو الرسالة الأولى لكل الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والدعاة إلى الله تعالى، فان الدعوة إلى الله، وتوحيده بالعبودية هي الحجر الأساس في رسالة الأنبياء ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّـهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾.

وحركتنا ليست حركة سياسية، تستهدف إسقاط الأنظمة الطاغوتية فقط، وإنما تتحرك لتعبيد الإنسان لله تعالى، وربطه بالله عزّوجلّ، وتخليصه لعبودية الله سبحانه بعد إسقاط الطاغوت.

وقد رافقت الثورة الإسلامية منذ أيامها الأولى هذه التربية الربانية، والدعوة إلى الله، والتوجيه إليه عزّوجلّ، بالدعاء، والصلاة، والتضرع، وتبني دراسة القرآن.

والذي يتتبع مكاسب الثورة الإسلامية يتملكه الإعجاب، بما حققته الثورة خلال هذه الفترة القصيرة، من توجيه الشباب إلى الله في إقامة المجالس العامرة، بالدعاء والتضرع وتلاوة القرآن، وإقامة شعيرة الاعتكاف، والتوجه إلى إقامة صلاة الجمعة والاجتماع لقراءة دعاء (كميل) ليالي الجمعة... وهذه المجالس والتجمعات العبادية هي التي تبني الجيل، لمواجهة التحديات الاستكبارية الكبيرة بعزم وثبات واطمئنان... بالإضافة إلى البناء الروحي الذي يتلقاه شبابنا على جبهات القتال، العامرة بالدعاء والصلاة، والتضرع، والبكاء، بين يدي الله تعالى، أناء الله وأطراف النهار، والذي يعيد إلى ذاكرتنا معارك المسلمين الأولى في بدر وأحد وحنين.

* * *

والسمة الأخلاقية والتربوية في الثورة هي الميزة الأخرى المرتبطة بالربانية، فان الثورة تمتاز بالأخلاقية، وإعداد الجيل الصاعد لتربية أخلاقية شديدة قائمة على التقوى ومكافحة الهوى، وتهذيب النفس، والالتزام الدقيق بحدود الله تعالى.

ولاشك أن هذه المسألة تأتي بعد (الربانية) مباشرة في سلّم اهتمامات الأنبياء عليهم السلام ورسالتهم.

تبني قضايا المستضعفين والمحرومين في الأرض:

ومن خصائص هذا الخط التبني المستمر لقضايا المستضعفين في العالم الإسلامي بشكل جاد، والدفاع عن مواقعهم وقضاياهم، بكل الوسائل الممكنة. فان مهمة هذه الثورة تحرير الإنسان على وجه الأرض. وحيث يتواجد إنسان مستضعف أو محروم، يعيش تحت إمرة الجاهلية وسلطانها، فإن على الثورة أن تتولى قضيتها، وأن تجعل هذه القضية في صلب اهتمامها، ولذلك نجد ان الثورة أعلنت عن مواقفها السياسية تجاه قضايا المستضعفين والمحرومين، وقضايا العدوان على العالم الإسلامي وعلى المستضعفين من أول يوم، بوضوح كافٍ.

فتبنت القضية الفلسطينية، بحماس منقطع النظير، وتبنّت القضية العراقية، والقضية الأفغانية، وقضية تحرير أراضي الجنوب اللبناني من الاحتلال الإسرائيلي، وغير ذلك من قضايا العدوان

على العالم الإسلامي، وشؤون المستضعفين والمحرومين. وإذا تخلت الثورة ـ لا سمح الله ـ في يوم من الأيام، عن مسؤوليتها تجاه قضايا العدوان على العالم الإسلامي وشؤون المحرومين، فإنها تتخلى عن مهمتها ورسالتها السياسية والجهادية الأولى وعن مبرر وجودها.

تلك باختصار أهم ملامح، وأركان، وخصائص هذا الخط، وللبحث عن مفردات هذا الخط مجال آخر وحديث آخر نرجو أن يوفقنا الله تعالى له.

مكاسب الخط

الوعي الجماهيري:

قيمة هذا الخط ـ كما ذكرنا ـ ليس فقط في محتواه الفكري والسياسي والجهادي، وإنما في انبثاقه عن عمق الوجدان الشعبي، ومن داخل آلام الأمة، وآمالها، وعذابها، وتضحياتها، وطموحاتها، وحضارتها، ورسالتها.

ولهذا السبب بالذات، فقط تبنّى جمهور الشارع الإسلامي هذا الخط، بوعي وبصيرة، وبكامل أبعاده الفكرية، والسياسية، والجهادية، ونزل الخط وما يستتبعه من وعي ورؤية سياسية إلى الشارع.

والوعي السياسي ـ في الغالب ـ يخص طبقة ممتازة في المجتمع هي (النخبة الواعية)، ويبقى له تأثيره وتحريكه في داخل الأمة، ذلك بفعل (النخبة). فإذا انتقل الوعي من هذه الطبقة إلى الشارع، ونزل (الوعي والخط السياسي) إلى عرض الشارع بكل أبعاده وحدوده، من غير عوج، ولا انحراف... تحوّل الخط

والوعي إلى قوة محركة هائلة، وقدرة سياسية كبيرة. وقلما يكون ذلك.

والذي حدث في الثورة الإسلامية المباركة، أن هذا الوعي السياسي نزل ضمن خط الإمام إلى مستوى الجمهور، وتبنّت الأمة هذا الخط بوعي وبصيرة وبكامل أبعاده. وبكل أصالته. فأصبح ابن الشارع يفهم شعار (لا شرقية ولا غربية) فهماً سياسياً واضحاً، ويعرف عن خبرة وبصيرة، خطر وضرر الارتماء في أحضان الشرق والغرب، ويدرك قيمة الاستقلال الفكري والسياسي، (ودور الجهاد والتضحية في تحرير الأمة)، وقيمة (التصدي للطاغوت)، ومعنى (ولاية الفقيه).

وهذه المعرفة الواعية، والرؤية الصافية لمسألة الخط كانت لها آثار إيجابية كبيرة، في نجاح الثورة وتقدمها، وفشل المحاولات المعادية للثورة.

فقد تبنّت الأمة الدفاع عن الثورة التي آمن بها وبخطّها، وتحمّلت ضريبة هذا الدفاع بصدق، ولم ينسحب من موقع تقدمت إليه، مهما كانت الضريبة ثقيلة، ودفعت ضريبة الخط

براحة وانشراح ورضى، وشمل هذا المستوى العالي من الوعي كل طبقات الأمة.

وما أكثر ما تجد في خضم الثورة أُمّاً قروية، تعيش في الريف، تستقبل جنازة ابنها الشهيد بتغريدة الأمهات اللاتي يزففن أبنائهن إلى خدر أعراسهم، وتدخل جنازة ابنها بيديها إلى داخل قبره وتطبع على خده قبلة الوداع، بكل سرور ورضى، وكأنها تودعه إلى رحلة قريبة أو سفر يسير، ثم تقدم الحلوى على قبر ابنها، وتُعِدّ نفسها لاستقبال التهاني، كما يتقبلن الأمهات التهاني عندما يقدمن أولادهن إلى أعراسهم، ويستنكرون بصدق وجدّ، من يقدم إليهن العزاء.

إن الأم المسلمة هنا تعمل كل ذلك براحة ورضى وانشراح ولا تحسب أنها عملت شيئاً.

وليس هذا العمل الجبار ينبثق عن عاطفة تجاه الثورة، فلقد رأينا العواطف وتأثيرها ودورها كثيراً، وليس بمقدور العاطفة أن تصنع مثل هذه المعجزات في حياة الإنسان... وإنما هو وعي، وبصيرة، وثقة، وإيمان، ووضوح ما بعده وعي ووضوح، استقر

في قلب هذه المرأة البسيطة الساذجة، وجعل منها أُسطورة في التضحية ومعجزة في الشجاعة ونسيان الذات.

وكذلك يفعل الإيمان عندما يستقر في القلوب الواعية.

* * *

هذا الوعي للخط، وعلى مستوى الشارع والريف هو - بالتأكيد - من أهم أسباب وقوف الأمة إلى جانب الثورة، وحمايتها للثورة ودفاعها عنها.

فلم يقف اندفاع الأمة، ولم يبرد حماسها في التضحية والجهاد والعمل عند سقوط الشاه، وإنما استمر هذا الحماس والاندفاع، وتصاعد في خط صاعد ما بعد الثورة، واجتاز بدرجات عالية من القوة والفاعلية كل العقبات، واحدة تلو الأخرى.

وهنا تبرز قيمة (الخط) في الثورة، فان الكثير من الثورات الشعبية التي أدت مهمتها في إسقاط النظام آل أمرها إلى الضعف والبرود والانحراف والتميع.

وليس لنا مثل أوضح من الثورة الفرنسية (١٧٨٩ م)، فقد كانت هذه الثورة ثورة نابعة من عمق ووجدان الشعب حقيقة، ولكن هذه الثورة سرعان ما آل أمرها إلى الانحراف، وحلّت دكتاتورية جديدة، محل الدكتاتورية السابقة، وطبقة منتفعة محل الطبقة المنعمة سابقاً، وتولى بونابرت الحكم في فرنسا بأطماع توسعية عسكرية، وأفسد في الأرض، وأوغل في الفساد. والسبب في ذلك - في بعض الحدود - أن هذه الثورات لا يرافقها خط سياسي سليم، يستوعب الشعب ويملكه، وإنما يمتلك الشعب في الاندفاع لإسقاط النظام والتضحية عاطفة ثورية وشعوراً بالحرمان والظلم، من دون وعي وخط سياسي مفهوم ومقبول، من قبل ابن الشارع.

وأمد هذه العاطفة ومفعولها محدود بسقوط النظام، فإذا سقط النظام الحاكم خمد الحماس وامتصّ سقوط النظام كل النقمة والعاطفة، وانعزلت الثورة عن الشعب والشعب عن الثورة، فيسهل عند ذلك على المنتفعين - وهم كثيرون - تحريف الثورة إلى خدمة مصالحهم وأطماعهم.

أما الثورة الإسلامية فكان لها شأن آخر، وهذا الشأن هو من نتائج وآثار وجود هذا الخط الإسلامي الأصيل داخل الثورة وفي وجدان الأمة ووعيها.

فلم تكن عاطفة ناقمة وغاضبة هي التي أهاجت الناس في إيران وأنزلتهم إلى الشارع، وحركتهم باتجاه إسقاط النظام، وإنما كان وعياً سياسياً إسلامياً سليماً، ورؤية سياسية، وخطاً سياسياً، تصدر عنه العاطفة، وهذا الوعي والخط هو الذي حفظ الناس إلى جانب الثورة، وأبقاهم في خط الدفاع الأول للثورة منذ انفجارها إلى اليوم، وإلى أن يستقر حكم الله على وجه الأرض كافة بقيادة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) إن شاء الله.

فقد كانت الأمة تشعر من خلال إيمانها بالخط: أن لها قضية، وقضيتها لم تنته بإسقاط النظام، وبقي ابن الشارع يشعر بعمق مسؤوليته، في حماية الثورة من كل دعاة التحريف وأصحاب المطامع السياسية والانتهازيين طيلة هذه الفترة، وكان هذا الشعور الواعي والصادق يتطلب منه الحضور الدائم والواعي في الساحة السياسية والمراقبة الواعية بعينين نافذتين لكل ما يجري في الساحة.

إحباط المؤامرات وفرز الخطوط:

وهذا الحضور والمراقبة الواعية كان من أهم الأسباب في فشل المؤامرات الداخلية والخارجية، التي كان يحيكها أعداء الثورة الإسلامية، لتطويقها ومصادرتها وإسقاطها.

وكان من أهم الأسباب في فرز الخطوط ـ إذا كان هناك خط سياسي آخر ـ وعزل الخطوط الأخرى، وأصحاب المطامع، والانتهازيين عن صلب الثورة، وحصرهم في الزاوية، ثم إسقاطهم، بإذن الله.

ورغم أن أمريكا قد حاولت المستحيل في الكيد بالثورة، وخطّطت لمؤامرات ذكية، واستعملت في ذلك كل قدرتها، ونفوذها وسلطانها المالي والسياسي والعسكري، ولم تأل جهداً في ذلك... إلاّ أن الحضور الواعي للأمة في الساحة السياسية، والمراقبة الواعية للأمة أحبطت كل هذه المحاولات وأفشلتها.

ولاشك أن هذا الحضور الواعي والمراقبة الواعية في الساحة حصيلة إيمان الأمة، وتبنيها العميق لهذا الخط الإسلامي الرباني والتحامها به.

الخط والموقف:

والخط هو الذي يصنع الموقف، وكذلك حدث في الثورة الإسلامية. فقد كان وضوح الخط، والتزام الخط، من قبل جماهير المؤمنين، مصدراً لكثير من المواقف السياسية الصلبة.

فلكل ثورة، ولكل حركة شعاراتها، ولكن عندما تقترن الثورة والحركة بخط ثوري، حركي، واضح، مفهوم وملتزم من قبل الأمة، تتحول هذه الشعارات إلى مواقف.

ولقد حدث مثل هذا في الثورة الإسلامية، فارتفعت خلال الثورة مجموعة من الشعارات الثورية والجهادية، وتحولت خلال الثورة هذه الشعارات، بفضل إيمان الأمة والتزامها بخط الإمام، إلى مواقف سياسية وجهادية رائعة وبطولية.

ونذكر هنا مثالاً على ذلك، فقد شاعت في ذلك الوقت نظرية سياسية يحملها المهزومون نفسياً من السياسيين تجاه الدول الكبرى، فكانوا يدعون إلى التسامح مع الدول الاستكبارية، والتنازل عن المواقف السياسية المبدئية تجاه هذه الدول، فرفعت

(الأمة) مقابل هذه الدعوة، في مسيرة تشييع الشهيد الدكتور بهشتي رحمه الله: (نقاتل ونموت، ولا نتنازل). ورفعت الأمة تجاه الدعوة إلى السلام مع النظام العراقي وإيقاف الحرب (حرباً، حرباً، حتى النصر)... ومن عجب أن الأمة وقفت عند شعاراتها وقفة صامدة، وحولت هذه الشعارات إلى مواقف سياسية صلبة، ووقفت عند هذه المواقف، ودفعت ضريبة هذه المواقف، وليس من شك أن قيمة العمل السياسي بالموقف، وليس بالشعار، وما لم يتحول الشعار إلى موقف لا تستطيع الثورة أن تحقق أهدافها.

ووجود خط سياسي سليم وواضح، والتزام هذا الخط من قبل الأمة، من أقوى العوامل في صناعة المواقف السياسية، وتحويل الشعارات السياسية إلى مواقف.

خط الإمام والانتهازية السياسية

ولابد لنا في هذه العجالة، أن نشير إلى مقارنة سياسية بين خط الإمام والخطوط السياسية الأخرى، التي كانت تنافس خط الإمام على قيادة الساحة واستيعابها - إن صحت تسميتها بالخطوط - ولا نريد بهذه المقارنة الناحية الفكرية، والمحتوى الفكري، وإنما نريد بالمقارنة الموقف السياسي المبدئي فقط، بغض النظر عن محتوى هذه المواقف والمبادئ.

فنقول: من الصعب أن نسمّي الاتجاهات السياسية - اليمينية واليسارية - المنافسة لخط الإمام، بخطوط سياسية تملك مواقف مبدأية محددة.

فقد كانت هذه الخطوط - في الغالب - تشكل اتجاهاً انتهازياً مقنّعاً بقناع سياسي ومبدئي، ومتبنى من قبل أفراد وجهات تملكهم مطامع سياسية أكثر من أي شيء آخر.

ولربما نستطيع أن نقول: إن أوضح وأقوى هذه الخطوط الحزب الشيوعي الإيراني (توده)، الذي كان يملك تاريخاً طويلاً

في العمل السياسي، وقد حاول الحزب الشيوعي أن يكيف نفسه مع خط الإمام، في شطر من عمر الثورة، ولاشك أن الحزب الشيوعي وجد حرجاً كبيراً في هذه المحاولة، فقد كان الحزب ينادي قبل ذلك بان (الدين أفيون الشعوب)، ويرفع هذا الشعار بوجه الدين، ومن الصعب مع ذلك أن يكيّف نفسه اليوم مع خط سياسي إسلامي قائم على أساس الدين، ويعترف بالقيادة الدينية الإسلامية في الساحة السياسية، والحزب الشيوعي من الناحية الأيدلوجية يقوم على أساس إلحادي، رافض لفكرة الإيمان بالله، ومن الصعب مع هذا التصور، أن ينسجم الحزب مع خط سياسي يعتمد الإيمان بالله تعالى مبدأً وأساساً لكل عمل وحركة، وكان بين الحزب الشيوعي والأوساط الإسلامية صراع وخلاف فكري قديم، وحواجز نفسية وفكرية واجتماعية، ومن الصعب مع ذلك اجتياز هذه الحواجز، وتناسي الخلافات والانسجام السياسي مع خط تتبناه القيادة الإسلامية.

ومع ذلك فقد وجد الحزب الشيوعي الإيراني نفسه بين خيارين: إما العزلة الكاملة عن الساحة السياسية وعن الأمة، وإما

الانسجام النسبي مع خط الإمام، فآثر الحزب الخيار الثاني.

ولكن هل كان الحزب الشيوعي مبدئياً في هذا الموقف؟ بالتأكيد لا، كما لم يكن الحزب مبدئياً في مواقفه السياسية السابقة، فقد وقع كبار الشيوعيين الماركسيين في أحضان النظام الملكي، عندما طال بهم الأمد، كما حدث ذلك في العراق، وتناسى الحزب مواقفه المبدأية ضد النظام الملكي.

والذي حدث في الثورة الإسلامية إن الحزب الشيوعي تخلّف عن الشعار والمواقف التي التزم بها الحزب تجاه خط الإمام في بياناته السياسية. فكان الحزب يعلن الانسجام مع شعار (لا شرقية ولا غربية)، وفي الخفاء يقيم أقوى العلاقات التجسّسية وأحطها مع الاتحاد السوفيتي، ويتجسّس على مرافق وأعمال الجمهورية الإسلامية لصالح الاتحاد السوفيتي، كما اعترف بذلك أقطاب الحزب الشيوعي، الذين (ألقي عليهم القبض بالجرم المشهود).

إذن لم يكن الحزب الشيوعي يملك مواقف مبدئية سياسية في دور النظام الملكي، وبعد ذلك في عهد الثورة والدولة

الإسلامية، وإنما كان الحزب يتخذ من خط الإمام قناعاً سياسياً، يغطّي به مآربه ومطامعه الحقيقية، للوصول إلى الحكم.

وما يقال عن الحزب الشيوعي، يقال عن كثير من الأحزاب والخطوط اليمينية، واليسارية، والقومية، والوطنية، والإسلامية ـ الماركسية الأخرى.

فقد كانت هذه الخطوط في الغالب تمثل نحواً من الوصولية والانتهازية السياسية، ولذلك سرعان ما كشف خط الإمام، والمبدئية السياسية الصارمة في هذا الخط، الأوراق السياسية لهذه الخطوط وعزلها عن الساحة والجمهور.

ومن عجب أن خط الإمام لم يتزحزح عن مواقعه ومواضعه السياسية قبل الحكم وبعد الحكم، والذي يتتبع المواقف السياسية، لهذا الخط بعد الحكم، لا يجد تغييراً في مواقع ومواقف هذا الخط طوال هذه الفترة.

ومن الملحوظ أنّ الخطوط الثوريّة تتخلى عن كثير من مواقفها السياسية بعد الوصول إلى الحكم فيتحوّل النظام الثوري، بعد الوصول إلى الحكم إلى مزيج من متطلبات الثورة والدولة،

ولكل منهما مصالحه وحدوده، فإذا كانت الثورة لها متطلبات سياسية مبدئية صارمة، فان للدولة ايضاً حاجاتها ومتطلباتها ايضاً، وهي من نوع آخر تتطلب ليناً وتكيفاً وانسجاماً مع الواقع تتطلبها مصالح الدولة.

إن الذي حصل في الغالب، في الأنظمة الثورية الحاكمة، شيء يشبه هذا الأمر. ونحن لانشك في أن للدولة مصالحها ومتطلباتها، التي قد تختلف نوعاً ما عن مصالح الثورة ومتطلباتها، ولكننا نعتقد أن هذه القاعدة اتخذت من قبل كثير من الأنظمة الثورية واليسارية جسراً للانتهازية السياسية، ومن حقنا أن نضع علامة الاستفهام، أمام كثير من التصرفات السياسية للأحزاب والفئات والدول الثورية واليسارية، كالاتحاد السوفيتي والصين، ولا نستثني بعض المنظمات الفلسطينية، التي انسجمت مع قرارات مؤتمر فاس وتخلت عن مواقعها السياسية.

إن الميزة البارزة لخط الإمام الثبات السياسي، الصامد على مواقفه المبدئية، تجاه كل القضايا السياسية، فلم يحدث مثلا تغيير في موقف الثورة بعد الحكم تجاه القضية الفلسطينية، أو

تجاه رفض الانتماء إلى الشرق أو الغرب.

وهذه من خصائص هذا الخطّ البارزة، وإذا وضعنا هذه الخصيصة السياسية، بإزاء المواقف الانتهازية لكثير من الأحزاب والفئات والدول الثورية، نعرف عمق مبدئية هذا الخط، والسائرين على هديه.

تصدير الخط

مسألة التصدير بالنسبة إلى الثورة وخط الإمام مسألة أساسية ومصيرية، فان حياة الثورة بنموها، ونموها بتصديرها، وإذا توقف تصدير الثورة توقف نموها. وتوقف النمو بالنسبة إلى الثورة يعني الموت.

فإذن التصدير للثورة بحكم التنفس للكائن الحي، إذا انقطع عنه مات.

وليس معنى تصدير الثورة الإرهاب والغزو والاحتلال العسكري، كما يقول أعداء الثورة، وإنما نعني بتصدير الثورة تصدير خطها، وتوعية المسلمين المستضعفين والمحرومين بهذا الخط.

ومهمتنا الأساسية في هذا المجال في العالم الإسلامي، هو إيجاد وعي سياسي للخط السياسي الإسلامي المعاصر، في العالم الإسلامي، وبين صفوف المحرومين.

إن الثورة لا تقف في مكانها، فأما أن تتقدم وتأخذ بالنمو، أو

تتضاءل وتأخذ بالذبول.

فنحن إذن لا خيار لنا تجاه تصدير الخط السياسي الإسلامي المعاصر، فان التقاعس عن تصدير هذا الخط، يعتبر تقاعساً في مسؤوليتنا تجاه الثورة بين يدي الله تعالى.

إن عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى والأسرى والمعوّقين والثكالى أدّوا بصدق وإخلاص، مسؤوليتهم تجاه هذه الثورة، وأحسنوا الأداء، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وألقوا علينا مسؤولية بلاغ هذه الرسالة.

وليس هنالك من حدود إقليمية، أو قومية للوعي والخط، وإذا كانت الدولة تتحدد ضمن حدود جغرافية، فليس للثورة والوعي والخط حدود قومية أو جغرافية أو وطنية.

وعليه، فان علينا أن نحمل رسالة هذا الخط، إلى كل المسلمين وكل المستضعفين، ونعلّمهم كيف يحررون أنفسهم؟ وكيف يكسرون الأغلال من أيديهم وأرجلهم؟ وكيف يتخففون عن الأصر الذي يثقل كاهلهم؟ وكيف ينتفضون ويقومون مثنى وفرادى لله في وجه الطاغوت؟ وكيف يستعيدون

شخصيتهم وكرامتهم واستقلالهم ومصادر الثروة الطبيعية في بلادهم؟ وعلينا أن نكسر الحواجز السياسية والعسكرية التي تحجب صوت الثورة عن المستضعفين والمحرومين بأي شكل، وبأي ثمن، ومهما كان الثمن.

فنحن لا نريد الحرب، ولا نتمنى أن نعيش في حالة الحرب، ولكننا لا نسمح لأحد أن يحول بيننا وبين أداء رسالتنا إلى الناس.

* * *

قيمة الخط في حياة الناس

قلنا: إن خط الإمام لا يزيد على أن يكون تسمية جديدة، في حياتنا السياسية المعاصرة، وإلاّ فان مسألة الخط قديمة اسماً ومحتوى.

فمن ناحية المحتوى، يأتي هذا الخط امتداداً لدعوة الأنبياءعليهم السلام، ورسالتهم، وطريقتهم، ودعوة أئمة المسلمين، والمجاهدين، والصديقين، والعاملين على امتداد التاريخ. ويعتبر الامتداد الطبيعي، لهذا الخط العريق العميق في التاريخ.

إنّ القرآن الكريم يعبّر عن الخط الرباني في حياة الإنسان بـ (الصراط المستقيم)، ويعطي الإسلام لمسألة الصراط المستقيم، في حياة الإنسان، أهمية فوق العادة.

ويكفي للتدليل على هذه الحقيقة أن نقول: إن الدعاء الوحيد الذي يجب على الإنسان أن يكرره في اليوم عشر مرات في صلاته هو اهدنا الصراط المستقيم ، ولا أعرف الآن دعاء آخر، يجب على الإنسان أن يدعو به بصورة يومية رتيبة غير هذا

الدعاء، عدا الصلاة على محمد وآل محمد.

ويقارن القرآن الكريم بين أولئك الذين يعيشون على غير هدى وبصيرة، في متاهات الحياة، والذين يسيرون على هدى وبصيرة على الصراط المستقيم.

فيقول: ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[1]. وواضح أن الذي يمشي مكباً على وجهه، مطرقاً برأسه إلى الأرض تكثر العثرات في سيره. أمّا من يمشي بقامة سوية على الصراط المستقيم، فلا يعثر ولا يتيه.

وفي سورة هود: ﴿**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ**﴾[2].

وكيف يستوي الأعمى والأصم والبصير والسميع إن الأول لا يكاد أن يميز شيئاً مما حوله، والثاني يكاد أن يمتلئ وعياً

---

(١) الملك: ٢٢.

(٢) هود: ٢٤.

وبصيرة، وفهماً، وإدراكاً لما حوله، والأول هو الذي يعمل من غير هدى على غير صراط مستقيم، والثاني هو الذي يسير على هدى وبصيرة من دينه، وعلى صراط مستقيم.

ليس من المهم أن يعمل الإنسان فقط أو يتحرك، وإنما المهم أن تكون حركته على الصراط المستقيم، وإن القليل من العمل، على هدى ووعي وخط، خير من كثير لا يستقيم على الصراط المستقيم.

إن هاجس العمل يكاد يمتلك الكثير من العاملين، وهو حق وصحيح، ولكن مسألة سلامة الخط، والتأكد من أن الإنسان يضع خطاه على الصراط المستقيم، تأتي قبل العمل والحركة.

فما أكثر الأعمال والتحركات التي تؤدي بأصحابها إلى عذاب الله، وتستدرج القائمين بها إلى أسفل درك من الجحيم.

سمع أميرالمؤمنين عليه السلام رجلاً من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال عليه السلام: «نوم على يقين خير من صلاة في شك».

ولذلك نجد أن الإسلام يعطي هذا الدور الكبير، والقيمة الفائقة لمسألة (الصراط المستقيم)، حتى يوجب الدعاء للاهتداء

إليه، ويوجب تكرار هذا الدعاء عشر مرات في اليوم دون غيره من الأدعية رغم أهميتها.

فقد يعمل الإنسان بجد، وبحرارة وحماس، وبصورة متواصلة، ولكن لا يزيده عمله إلا بعداً عن الله تعالى، وذلك انه يعمل بعكس الصراط.

فكلما يتحرك أكثر يزيد بعداً عن الله عزّوجلّ... وليس مثل (منظمة مجاهدي الشعب) عنا ببعيد، الذين قضوا أشطراً من حياتهم السياسية، يحاربون الشاه، ويتحملون ألوان العذاب والمطاردات والسجون من قبل بوليس الشاه، والسجون، ثم آل أمرهم إلى أن حملوا السلاح بوجه الثورة الإسلامية ورجالها وقادتها، وتحولوا إلى معول للهدم.

ولذلك ينبغي للعاملين أن لا يغرّهم عملهم، وأن يتأكّدوا في كل لحظة أنهم يضعون خطاهم على الصراط المستقيم ولا يخرجوا عن صراط الله، إلى متاهات الهوى والشيطان.

وكلما يكون موقع الإنسان العامل أكثر حساسية وعمله أكبر، يكون تعرضه للانزلاق واستهداف الشيطان أكثر، وعليه أن يبذل

جهداً أكثر في طلب البصيرة والوعي والفقه في الدين.

فقد كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام يطيل القعود بعد المغرب ويسأل الله اليقين ويقول: إن الله تعالى لا يرزق أحداً رزقاً أجلّ من نعمة اليقين والبصيرة، على أن نعم الله تعالى كلها جليلة.

وعن الوشا عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سمعته يقول: «**الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم بين الناس شيء أقلّ من اليقين**».

واليقين والبصيرة والوعي كل ذلك يتعلق بخط تحرك الإنسان، قبل أي شيء آخر.

ولهذا كله، تأتي قيمة اليقين بالخط، والوعي والبصيرة، والفقه في حياة المؤمنين العاملين، في الدرجة الأولى من قضايانا، وتأتي المسائل الأخرى بعد ذلك.

الارتباط العاطفي والواعي بالخط

إن مسألة الارتباط، والانشداد إلى الخط والصراط المستقيم، مسألة في غاية الأهمية فان شخصية الأمة، وسلامتها، واستقامتها، وصلابة مواقفها كل ذلك مرتبط بالتزامها بصراط الله المستقيم، فلابد إذن من الاهتمام بتعميق الصلة بين الأمة والخط (الصراط المستقيم).

والارتباط بالخط، يكون على شكلين الارتباط العاطفي والارتباط الواعي العقلاني.

وكلاهما مهمان في إعداد وتربية الإنسان المؤمن.

الارتباط العاطفي:

الارتباط العاطفي، هو انشداد المؤمن إلى الصراط المستقيم، من خلال الأجواء العاطفية، التي تشدّه إلى خط الأنبياء، والأئمة عليهم السلام، وصراط الصالحين من عباد الله.

وهذه الأجواء لاشك أنها ذات آثار إيجابية، في بناء شخصية الإنسان المؤمن واستقامته على الصراط المستقيم.

إن الاحتفال بالمناسبات الإسلامية العامة، وفي ذكريات أهل البيت عليهم السلام يأتي في هذا السياق وله دور مؤثر في انشداد الإنسان بالصراط المستقيم الذي كانوا يسلكونه.

وكذلك زيارات مراقد أهل البيت عليهم السلام والأنبياء، والأولياء، والعلماء، والمجاهدين، من العوامل المهمة في الانشداد إلى هذا الخط، والصراط الذي ينتظم عليه كل خطى العاملين المخلصين، والأتقياء الأبرار.

وفي مقدمة هذه العوامل، إقامة مجالس عزاء الحسين عليه السلام فان هذه المجالس وما يجري فيها من ذكر مأساة الطف على الطريقة الشعبية المألوفة ذات تأثير كبير في انشداد المؤمنين، إلى منهج سيد الشهداء الحسين عليه السلام وصراطه وخطه، وقلما نجد عاملاً تربوياً آخر، يعوض عن هذا العامل ويحل محله.

ونحن العاملون مدينون بالكثير، لهذه المجالس من سلامة أُمّتنا وسلامة خطنا، خلال هذه الفترة الصعبة، التي غزتنا فيها الحضارة الغربية، واقتحمت بيوتنا، ومدارسنا ودوائرنا، واجتماعاتنا. فكانت مجالس الحسين عليه السلام هي إحدى أقوى الحصون، التي حصّنت الأمة وخطها خلال هذه الفترة، من غزو

الحضارة الغربية، عندما تهاوى أمام هذا الغزو الكثير من المعاقل والحصون.

فهذه الأجواء الإسلامية: الاحتفالات، والزيارات، ومجالس العزاء، وقراءة النصوص الواردة في الزيارة، وكذلك زيارة العلماء والمجاهدين الأحياء والاحتفاء بهم وهكذا المسيرات والتظاهرات ... كل ذلك عوامل إيجابية فعالة ذات تأثير عاطفي كبير في التحام الإنسان المؤمن بالصراط المستقيم، وتحسيسه بأنّه عضو من هذه الأسرة المباركة ـ أسرة الأنبياء والمرسلين والأئمة وعباد الله الصالحين ـ وانه خلف لذلك السلف الصالح وامتداد لهم، يجري على خطهم، ويسعى على هداهم، وعليه أن يسعى لحماية هذا الخط وسلامته، والاّ ينحرف عن طريقهم وصراطهم، وأن يضع خطاه حيث كان يضع أولئك خطاهم، على الصراط المستقيم، ويحافظ على ارتباطه بهم، ويسعى أن يكون امتداداً لهم.

إن السلفية المتطرفة، لم تدرك قيمة وحقيقة ومغزى هذه الأجواء العاطفية، وتأثيرها النفسي الكبير، في انشداد الإنسان المسلم برسالته وسلفه وأسرته الكبيرة.

على أننا نجد ما يبرر لنا سوء الظن ببعض رجال هذا المذهب في مكافحة هذه الأجواء الإسلامية الغنية والمباركة، ومحاربة زيارة المراقد، وإقامة الاحتفالات والمسيرات، بحجة أنها بدعة!!... ولا نستبعد أن يكون بعض هؤلاء قد وقع من حيث لا يعلم في شرك مؤامرة غربية تتضمن قطع صلة الأمة بأصولها وجذورها التاريخية، وبتر الجذور والروابط والصلات، لتتحول هذه الأمة الكبيرة، ذات الجذور العميقة المباركة في التاريخ، إلى أمة مبتورة الجذور، مجتثة من فوق الأرض...

قانون علاقة العمل بالإيمان:

وهناك حقل خصب آخر، من حقول الارتباط العاطفي بالخط، وهو حقل العمل والتضحية. فان عمل الإنسان وجهاده وتضحيته في سبيل الله، وعلى الصراط المستقيم، يتحول بصورة مباشرة إلى إيمان بالخط، ووعي وبصيرة ويقين وثبات.

وكلما يزداد عمل الإنسان وتحركه على الخط وترتفع درجة تضحيته وتعبه على هذا الصراط، يزداد انشداداً والتحاماً بالخط، وحباً له، ويقيناً به فتتحول الحركة إلى عاطفة حب، والعاطفة إلى

يقين لدى العقل، وثبات في العمل.

ونحن نجد لهذا القانون نظائر كثيرة في حياة الإنسان، فالأم كلما تبذل جهداً أكثر في تربية أبنائها، تزداد حباً لهم، وليس اختلاف درجة عاطفة الأم تجاه ابنها، من يوم ميلاده إلى يوم يشب سوياً، إلا نتيجة ارتفاع درجة البذل والعطاء والتضحية من الأم، فتتحول جهود الأم وتضحيتها إلى حب وعاطفة وتعلّق بأولادها، يزداد بصورة مطردة.

وهذا القانون يجري بصورة أعمق، في صلة الإنسان بالخط، فكلما يزداد عمله وجهاده وتحركه وتضحيته، للدفاع عن الخط، يزداد إيماناً به وبصيرة وهدى ويزداد تعلقاً به، وثباتاً عليه فيتحول هذا الجهد إلى عاطفة ويقين وثبات.

وهذه المعادلة القائمة بين العمل والإيمان، من أكثر المعادلات تأثيراً في حياتنا اليومية.

ونحن نجد اليوم في ساحة الثورة الإسلامية، شاهداً حياً على هذه الحقيقة. فقد استطاعت الثورة أن تنجب وتربي، خلال هذه الفترة القصيرة من عمرها، جيلاً من الشباب المراهقين والشابات المراهقات، من المؤمنين والمؤمنات، والمخلصين والمخلصات،

والطائعين لله والطائعات، ممن رزقهم الله هدى وبصيرة وتقوى وإخلاصاً، يندر وجودهم في الأجيال السابقة.

وليس من شك، أن الثورة الإسلامية لم تكن تملك القدرة التربوية الكافية لإعداد هذا الجيل، بهذا المستوى الروحي والعقلي والإيماني الرفيع.

فأين نشأ هؤلاء إذن؟ ومن الذي ربّاهم؟ وفي أية مدرسة تخرجوا؟ وعلى يد من نشأوا؟ وكيف قطعوا هذه المراحل والأشواط البعيدة، خلال هذه الفترة القصيرة؟ وفي هذا السن المبكر؟

تلك أسئلة يقف أمامها الجيل الهابط، الذي لم يألف هذه القفزات الإيمانية الكبرى في حياة الإنسان حائراً.

والجواب: إن المواجهة الحادة لقوى الاستكبار العالمي، وامتداداته في المنطقة، والمنافقين وأعداء الثورة... المواجهة لهؤلاء جميعاً، والعمل والتضحية التي قام بأعبائها هذا الجيل الصاعد المبارك، خلال هذه الفترة، بدموعه، ودمائه، وعرقه، وجهده، وسهره هو الذي رفعه إلى هذا المستوى الرفيع، من الإيمان والوعي والإخلاص والثبات، وهو الذي شدّهم بهذه

الصورة المحكمة المصيرية بهذا الخط، وربط مصيرهم بمصير الثورة الإسلامية.

الارتباط الواعي:

وإلى جانب الارتباط العاطفي، هناك نوع آخر من الارتباط، وهو الارتباط الواعي بالخط. ويتلخص في فهم الخط وإدراكه بصورة واعية وعقلانية.

وهذا اللون من الارتباط يحتاج إلى عمل فكري تثقيفي، وجهد علمي، من قبل الدعاة العاملين في سبيل الله، لتقديم خط الثورة الإسلامية بصورة علمية ومقبولة إلى جيل الثورة. وكذلك العمل لإسقاط الخطوط الفكرية والسياسية الأُخرى وإحباطها ضمن جهود علمية.

وعلى العاملين في سبيل الله، أن يستفيدوا من كل الفرص، لتقديم هذا الغذاء العقلي إلى جيل الثورة، الذي تناط به مهمة المحافظة على خط الثورة الإسلامية وسلامتها ونقاوتها، وذلك من خلال المحاضرات والدروس والخطب والمجالس الحسينية ومنابر الوعظ والإرشاد، واستغلال أجهزة الإعلام بصورة واسعة

لهذا الغرض.

على أننا نحب أن نقول: ليست الدراسة والعلم هو كل شيء، في تحصيل البصيرة واليقين. وأن التقوى باب واسع، من أبواب اليقين والمعرفة في حياة الإنسان، والإنسان الذي يتقي الله تعالى، ويضبط رغباته وأهواءه في دائرة حدود الله، ويحدّد تصرفاته، بحدود الله (الحلال والحرام) يرزقه الله تعالى بصيرة وهدى ويقيناً ويثبته على الحق يقول تعالى: ﴿**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ**﴾.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «واعلموا انه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظلم».

وهذا قانون آخر في علاقة التقوى باليقين والإيمان، يحتاج إلى دراسة أوسع في غير هذا المجال.

* * *

معالم الخط ومصادره

معالم الخط:

ولابد لكل خط وطريق من معالم يهتدي بها السائرون، ومن دون وجود معالم على الطريق لا يهتدي الإنسان إلى شيء.

فما هي المعالم على الخط (الصراط المستقيم)؟

إن القرآن يوضح هذه المعالم بإيجاز في سورة الفاتحة، فيأتي بعد الدعاء بـ (اهدنا الصراط المستقيم) مباشرة معالم هذا الصراط، وعلاماته وأدلته وذلك هو: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾ فان العلامة المميزة، التي تهدي إلى الصراط المستقيم، هو السائرون على هذا الصراط والسالكون له. فإذا اختلط السبل عليك، فاتبع خطى الذين أنعم الله عليه من الأنبياء، والمرسلين، والأئمة، والفقهاء، والمجاهدين، وغيرهم من عباد الله الصالحين.

وعلامة هذا الصراط، أن تجد عليه هذه النخبة الصالحة من عباد الله، وان خير ما تطمئن به النفوس أن يجد الإنسان على هذا

الصراط أمثال إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ورسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وعليهم)، فتستقر نفس الإنسان وتطمئن، ويثق بسلامة الخط والصراط.

ويضع الإنسان على كل طريق، يسلكه المغضوب عليهم والضالون، علامة استفهام وإنكار ويأخذ حذره منه.

وخلاصة الحديث: إن خير علامة ومعلم للصراط، هو سالكوه والعاملون عليه... وإذا التبست الخطوط على الإنسان، فلا يلتبس عليه الناس، ولا يصعب عليه أن يميّز بين إبراهيم عليه السلام ونمرود، وموسى عليه السلام وفرعون وجلاوزته، وعيسى عليه السلام وأعدائه من بني إسرائيل، ورسول الله صلى الله عليه وآله وطغاة عصره، وعلي عليه السلام ومعاوية، ولا يصعب على الإنسان أن يميز بين من يعمل لله ومن يعمل لهواه، ومن يتبع هدى الله تعالى، ومن تملكه أهواؤه وشهواته.

مصادر الخط:

ولابد أن نقول كلمة أخيرة، في نهاية هذه الجولة السريعة عن الخط الإسلامي الصحيح عن مصادر الخط، ولانشك أن

معرفة المعالم وحدها، لا تكفي في الاستقامة على الصراط المستقيم، ولابد بالإضافة إلى معرفة المعالم من معرفة مصادر الخط.

فإذا عرف الإنسان مصادر الخط، فلا يأخذ الخط من غير مصادره. إنّ أكثر الانحراف في تاريخ الإسلام عن الصراط المستقيم، ينبع من الجهل بمصادر الخط. والإنسان عندما يجهل المصادر الشرعية للدعوة والخط، يأخذه من أي يد يعرضه عليه.

ولاشك أن رسول الله ﷺ كان في حياته، هو المصدر والملجأ والملاذ الذي يلوذ به المسلمون، لمعرفة الصراط المستقيم، ولانشك أن رسول الله ﷺ لا يترك مثل هذه المسألة الهامة الحياتية في حياة المسلمين من غير إيضاح، وهو يعلم بما يحل بهذه الأمة، من اختلاف كبير وواسع، في الخط والطريق والصراط.

وعندما نرجع نحن إلى حديث رسول الله ﷺ نجد أن رسول الله ﷺ يحدد مصادر الخط بصورة واضحة، في أكثر من موقع

في حياته المباركة، ولاسيّما في أخريات أيامه، حيث كان يكرر صلى الله عليه وآله: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي**»[(١)].

فعلينا إذن أن نطبق مفردات الخط وأجزاءه دائماً بهذين المصدرين: كتاب الله وحديث أهل البيت عليهم السلام، لنعرف بهما سلامة الخط واستقامته. وعلينا أيضا أن نتوفر على دراسة كتاب الله وحديث أهل البيت عليهم السلام، لنستوحي منهما أصول العمل الصالح، وأصول الخط، والتحرك. ففي كلام الله وحديث أهل البيت عليهم السلام نور وهدى وسلامة واستقامة وبصيرة... وحديث أهل البيت عليهم السلام هو حديث رسول الله ﷺ وتراث النبوة، انتقل إلينا على يد الصادقين من أهل البيت عليهم السلام.

(١) يروي هذا الحديث بألفاظ متقاربة أئمة الحديث من السنة والشيعة. وبإمكان القارئ أن يجد مصادر الحديث في الكتب الموضوعة لهذا الغرض كالغدير، والمراجعات، والعبقات، وغير ذلك من المصادر.

الفهرس